الفصل الثانى
البركة فى القرآن

● إن متابعة بحث معنى البركة فى القرآن الكريم يلفت إلى إعجاز القرآن الكريم وثراء معانيه، ويستغرق الباحث فى آفاقه الفسيحة وأنواره الربانية، ويفيض عليه المولى عز وجل بفتوحاته النورانية، ويكشف له من أسرار التنزيل ما يفيض به على عباده الصالحين، ولا أظن صاحب (البركة فى القرآن) إلا واحداً من هؤلاء وقد متعه الله بسلب حبيبتيه فصبرَ ورضيَ، وتعرض لحادث سيارة فيما كان عائداً إلى الإسكندرية فأقعده تماماً فصبر ورضىَ وله الرضا إن شاء الله تعالى، وبرغم ذلك نجد داعيتنا الدكتور محمد أحمد طه يواصل نشر العلم فى الناس والخطابة فيهم جالسا على مقعده المتحرك، وينشط لفعل الخيرات، ويخف للدعوة إلى الله وتقريب المساكين والإحسان إلى الفقراء فضلا على رعايته لطلاب الدراسات العليا فى كلية أصول الدين ومتابعة القراءة والدرس فى مختلف العلوم وبخاصة علوم القرآن مجال تخصصه، ولذا فنحنُ أمام كتاب (البركة فى القرآن) أمام كتاب مبارك لرجل مبارك لقارئ مبارك إن شاء الله تعالى.

● وعندما نُعَايش المؤلف الكريم فى هذا السِّفر الجامع لمعنى البركة ومواضعها فى القرآن الكريم لا نملك إلا أن نردد قوله تعالى فى خواتيم سورة الكهف: ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾ [الكهف: ١٠٩]

– وها نحن أولاء نَسْبحُ مع المؤلف فى بحار البركات القرآنية، وأول ما يشدك فى هذه السباحة الإيمانية فى رحاب البركة أنك فى صُحبة نُوخذة أو رُبان ماهر وداعية عابد، يقودنا فى محيطات البركة، وقد تزود بكل ما يلزم السَّباح الماهر والربان الخبير والبستانى الذواقة لكل ما هو طيب وجميل، حيث تعايشه مستمتعا بأطايب ثماره المختلفة مُقبلاً على مآدبه فى لهفة وشوق، وها هو ذا

يفتتح سفره القيّم بقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [الأعراف: ٩٦] وفى مقدمة موجزة يحمد الله ويصلى على النبى محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، متحدثًا عن فضل الكتاب العزيز وتدبُّر آياته واصفًا القرآن الكريم بأنه: «بحرٌ زاخرٌ بعيدٌ غوره لا ينتهى فيضه. مترامى الأطراف، جمع الله فيه من اللآلئ الثمينة والكنوز النفيسة مالا يعلمه إلا هو، والعلماء على اختلاف مشاربهم يممون وجوهم شطر ذلك البحر، ينهلون منه، ويستخرجون من لآلئه، ويكتشفون من كنوزه كل حسب تخصصه» (البركة فى القرآن ص ٥، ٦).

● ويتقصى شيخنا الجليل مواضع البركة ومشتقاتها فى القرآن الكريم ويحصرها فى اثنتين وثلاثين آية من القرآمن الكريم وفى محيطها يدور هذا البحث القيم، الذى أخرج للمكتبة العربية فى سفْرٍ جليل، يُضيف إليها إضافة مشكورة ومفيدة فى مجال الدرس القرآنى الثريّ، ويُعالج المؤلف مادة بحثه فى تمهيد وخمسة أبواب وخاتمة.

– وفى التمهيد يبسط معنى البركة وأقسامها وينتهى إلي دوران المعنى اللغوى للبركة على مدلولين يتفقان فى الجذر اللغوي وهو مادة (بَرَكَ) أولهما يعنى الثبوت والاستقرار والدوام ومنه بَرَكَ البعير و(البِرْكة) بكسر الباء وسكون الراء، وثانيهما: النماء والزيادة والخير المتنامى، وينقل عن الفيروز أبادى قوله في تفسير معنى (البَرَكَة) بفتح الباء والراء حيث قال صاحب (القاموس): «البركة معناها ثبوت الخير الإلهى فى الشئ والمادة موضوعة للزوم والثبوت، وسُمّى بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء فى (البِرْكة) [بتسكين الراء وكسر الباء] والمبارك ما فيه ذلك الخير».

– ويقسم الباحث الكريم البَركة إلى قسمين رئيسين. أولهما بَركة حسّية وتكون فى الأمور المادية كزيادة الأموال وكثرة الذرية وقوة الأبدان، وثانيهما: فى

الأمور المعنوية كتقوى الإنسان وصلاحه وكثرة علمه وقوة عقله وبلاغه لسانه وجمال بيانه وغير ذلك من الخيرات الربانية.

● ويصحبنا الكاتب الداعية إلى أصل البركة ومصدرها في الباب الأول فيرشدنا إلى الله تبارك وتعالى المنعم بالبركة، وهو جل جلاله أصل الكمالات كلها ومنبع الخيرات جميعًا، فكمالاته لا نهاية لها وخيراته لا حد لها؛ ولذا يأتي لفظ (تبارك) مسنداً إلى الله لفظ الجلالة في تأكيد اتصافه سبحانه وتعالى بالكمال المطلق والقدرة المقتدرة والتفضل بالخيرات التي لا تعد ولا تحصى والتفرد بالملك والعظمَة والكبرياء، وهكذا يأخذ الباحث المبارك بأيدينا إلى مواضع ورود لفظ (تبارك) التسعة في القرآن الكريم، وينقل عن المفسرين تفسيرهم لفظ (تبارك) في السياق القرآني فيقول: « يقول الضحاك: معنى تبارك: تعاظم، وقال الحسن: معناه: تزايد خيره وعطاؤه وتكاثر، يقول تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا** ﴾ [الفرقان: ٦١]

– ويخبر شيخنا الباحث عن رسول الله ﷺ ثناءه على ربه تبارك وتعالى آناء الليل وأطراف النهار، ومن قوله صلوات الله وسلامه عليه في ختام الصلاة: « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام » ويخبر عن الفاروق عمر رضي الله عنه أنه كان يقول في افتتاح الصلاة: « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك ولا إله غيرك »، ويخلص الكاتب الباحث في تفسيره لفظ تبارك في القرآن الكريم بقوله: « وفي التعبير بقوله تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ** ﴾ إشعار بكثرة ما يفيضه – سبحانه – من خيرات وبركات على عباده وأن هذا العطاء ثابت مستقر وذلك يستلزم عظمته وتقدسه عن كل مالا يليق بجلاله – عز وجل – » (البركة في القرآن – ص ٣٤).

● وبعد أن عرَّفنا الكاتب بمصدر البركة المتفضل المنعم بكل الخيرات والنعم التي لا تعد ولا تحصى سبحانه وتعالى – انتقل بنا في الباب الثاني إلى أعظم البركات إلى القرآن الكريم نعمة الله العظمى على بني الإنسان، وعالج مادته في ثلاثة فصول: الأول: عن البركات القرآنية الذاتية والثاني عن بركات القرآن

الدينية، والثالث عن بركات القرآن الدنيوية، وقد صح عن رسول الله ﷺ قوله «من أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن، ومن أرادهما معا فعليه بالقرآن» وأيضا قوله ﷺ: «من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه» (رواه الحاكم).

– دعا الملك الأفغاني نادرخان شاعر الإسلام وحكيم الأمة الدكتور محمد إقبال لزيارة كابل ونزل ضيفاً عليه، فأهداه إقبال نسخة من القرآن الكريم وقدمها إليه قائلا: إن هذا الكتاب رأس مال أهل الحق، في ضميره الحياة، وفيه نهاية كل بداية، وبقوته كان عليٌّ فاتحَ خيبر، فبكى الملك نادرخان وقال: «لقد أتى على نادرخان زمان وماله أنيس سوى القرآن، وهو الذى فتحت قوته كل باب» (مع إقبال – شاعر الوحدة الإسلامية – للمؤلف ص ٣٠).

● ويعرج بنا المؤلف إلى باب آخر من أبواب بستان البركة في القرآن الكريم ألا وهو باب (بركة المكان) ويُعالج مادة الباب في خمسة فصول تدور حول البركة العامة التى حبا بها الله الأرض ثم بركة البيت الحرام ومكة المكرمة ثم بركة المدينة المنورة ومسجده ﷺ وبركة الشام والمسجد الأقصى وبركة مصر، مفصلا المواضع القرآنية في ذلك مدللاً بالأسانيد القرآنية والنبوية والتاريخية والعلمية على ما ذهب لشرحه في إطناب بديع ينمُّ عن ثقافة واسعة تزوّدَ بها كاتبنا العالم الجليل في مجال التاريخ وعلم الحياة فضلاً عن علوم القرآن واللغة العربية وآدابها.

– وفي الباب الرابع عرض المؤلف لبركة الزمان في ثلاثة فصول، الأول منها في بركات الشهور والثاني في بركات الليالي، والثالث في بركات الأيام، ونراه في أسلوب العالم الداعية يطوف بنا في مواضع البركة الزمانية في مثل شهر رمضان وليلة القدر وأيام البركة مثل يوم الجمعة ويوم عرفات والعشر الأواخر من رمضان، ذلك من بركات الزمان والتى عناها المصطفى ﷺ في قوله: «إن لله في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها، فإن الشَّقيَّ من حُرم فيها الأجر والثواب».

– وفي الباب الخامس يُسهب الشيخ الباحث في شرح البركة في الناس؛ لأن فيه هدف الدراسة وثمرة البركة فيبسط القول فيه عن الإيمان والتقوى وأثرها

فى حياة الناس ويخلص إلى أن البركة ثمرة المحبة والإيمان والتقوى ويختم هذا الباب بنماذج من الأنبياء الذين باركهم الله فكانوا نماذج مباركة للمصطفين الأخيار ومن البشر المباركين كسيدنا نوح أبى البشر الثانى وأبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام وكليم الله موسى ونبي الله عيسى كلمة الله ونبينا سيد الأنام أمير الأنبياء، وإمام المرسلين، وينبه من خلال ذلك كله إلى سُنن الله – عز وجل – فى خلقه وينعى على مسلمي اليوم حالهم مُعللاً تدهور أحوالهم بقوله – بارك الله عليه: «إن مسلمى اليوم يشكون من ضيق الأرزاق وضنك فى العيش وجدب فى الأرض وقحط من السماء، يشكون من زلازل تدمر بيوتهم وفياضانات تخرب بلادهم وجراد يرسل عليهم فيفتك بمحاصيلهم وأمراض لم نكن نسمع عنها من قبل وأوجاع انتشرت بينهم وغير ذلك من الآفات الظاهرة وغير الظاهرة مما نسمع عنه فى الإذاعات ونقرأ عنه فى الصحف يوميًا، إنما حدث هذا لبعدنا عن الإيمان الصحيح وعن التقوى الصادقة.

لقد آمنا بكتاب الله وسنة رسوله قولاً ونبذناهما عملاً وسلوكًا وخُلقًا فَحَلَّ بنا من صنوف البلاء ألوانًا، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون» (السابق ص ٢١٧، ٢١٨).

– ثم يدلل على مذهبه ذلك بقول الله تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الروم: ٤١]

● وحفظ البركة كما يؤكد الكاتب الكريم يكون بالبعد عن المعاصى ومجانبة الشهوات والاستقامة على الجادة ولا بَرَكة للأمة المحمدية إذا تخلّت عن كتاب ربها وسُنة نبيها؛ لأنهما العصمة من كل زلل وفيهما الهداية إلى كل خير وفيهما البركة التامة والنعيم المقيم والفوز والفلاح فى الدنيا والآخرة.

– جزى الله داعيتنا الباحث الكريم خير الجزاء، إذْ ينورنا بما فتح الله عليه من علم وفيوضات بأسلوب العالم الداعية والمرشد المربى والأديب الشفاف وبارك الله له وعليه ونفعنا بعلمه ودعائه.